تفسير إبن كثير

غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

وقوله : (غافر الذنب وقابل التوب) أي : يغفر ما سلف من الذنب ، ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب إليه وخضع لديه .وقوله : (شديد العقاب) أي : لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ، وعتا عن أوامر الله ، وبغى [وقد اجتمع في هذه الآية الرجاء والخوف] . وهذه كقوله تعالى : (نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم) [الحجر : 49 ، 50] يقرن هذين الوصفين كثيرا في مواضع متعددة من القرآن ; ليبقى العبد بين الرجاء والخوف .وقوله : (ذي الطول) قال ابن عباس : يعني : السعة والغنى . وكذا قال مجاهد وقتادة .وقال يزيد بن الأصم : (ذي الطول) يعني : الخير الكثير .وقال عكرمة : (ذي الطول) ذي المن .وقال قتادة : [يعني] ذي النعم والفواضل .والمعنى : أنه المتفضل على عباده ، المتطول عليهم بما هو فيه من المنن والأنعام ، التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها ، (وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها [إن الإنسان لظلوم كفار]) [إبراهيم : 34] .وقوله : (لا إله إلا هو) أي : لا نظير له في جميع صفاته ، فلا إله

غيره ، ولا رب سواه (إليه المصير) أي : المرجع والمآب ، فيجازي كل عامل بعمله ، (وهو سريع الحساب) [الرعد : 41] .وقال أبو بكر بن عياش : سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب [رضي االله عنه] فقال : يا أمير المؤمنين إني قتلت ، فهل لي من توبة ؟ فقرأ عليه (حم . تنزيل الكتاب من االله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال : اعمل ولا تيأس .رواه ابن أبي حاتم - واللفظ له - وابن جرير .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا موسى بن مروان الرقي ، حدثنا عمر - يعني ابن أيوب - أخبرنا جعفر بن برقان ، عن يزيد بن الأصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس ، وكان يفد إلى عمر بن الخطاب [رضي االله عنه] ، ففقده عمر فقال : ما فعل فلان بن فلان ؟ فقالوا : يا أمير المؤمنين ، يتابع في هذا الشراب . قال : فدعا عمر كاتبه ، فقال : اكتب : " من عمر بن الخطاب إلى فلان ابن فلان ، سلام عليك ، [أما بعد] : فإني أحمد إليك االله الذي لا إله إلا هو ، غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير " . ثم قال لأصحابه : ادعوا االله لأخيكم أن يقبل بقلبه ، وأن يتوب االله عليه . فلما بلغ الرجل كتاب عمر جعل يقرؤه

ويردده ، ويقول : غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي .ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان ، وزاد : " فلم يزل يرددها على نفسه ، ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر [رضي االله عنه] خبره قال : هكذا فاصنعوا ، إذا رأيتم أخاكم زل زلة فسددوه ووفقوه ، وادعوا االله له أن يتوب عليه ، ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمر بن شبة ، حدثنا حماد بن واقد - أبو عمر الصفار - ، حدثنا ثابت البناني ، قال : كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة ، فدخلت حائطا أصلي ركعتين فافتتحت : (حم) المؤمن ، حتى بلغت : (لا إله إلا هو إليه المصير) فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال : إذا قلت : (غافر الذنب) فقل : " يا غافر الذنب ، اغفر لي ذنبي " . وإذا قلت : (وقابل التوب) ، فقل : " يا قابل التوب ، اقبل توبتي " . وإذا قلت : (شديد العقاب) ، فقل : " يا شديد العقاب ، لا تعاقبني " . قال : فالتفت فلم أر أحدا ، فخرجت إلى الباب فقلت : مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا : ما رأينا أحدا فكانوا يرون أنه إلياس .ثم رواه من طريق أخرى ، عن ثابت ، بنحوه . وليس فيه ذكر إلياس .